نصيحة وتأصيل

في زمن الفتن

لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

إعداد وترتيب

عوض بن سلطان العتيبي

إمام مسجد بلال بن رباح - الرياض

مدار الوطن للنشر

نصيحة وتأصيل

في زمن الفتن

لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

إعداد وترتيب

عوض بن سلطان العتيبي

إمام مسجد بلال بن رباح - الرياض

مدار الوطن للنشر

ح مــــدار الــــوطـــن للــنــشــر ، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهــد الوطنية أثناء النشر
الفوزان ، صالح بن فوزان
نصيحة وتأصيل في زمن الفتن / صالح بن فوزان الفوزان -
الرياض، ١٤٣٥هـ
ردمك: ٠-٠-٩٠٥٩٤-٦٠٣-٩٧٨
٣٢ ص، ١٢×١٧ سم
١- الوعظ والإرشاد ٢- الفتن في الإسلام أ - العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٣٥/٧٨٥٩

رقــــم الإيـــداع: ١٤٣٥/٧٨٥٩
ردمك: ٠-٠-٩٠٥٩٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

جميع الحقوق محفوظة

مدار الوطن للنشر

المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢
المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨
ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣خطوط) – ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦
فرع السويدي – ت: ١١٤٢٦٧١٧٧ – ف: ١١٤٢٦٧٣٧٧
K.S.A / Riyadh 11312 P.O.Box: 245760
Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096
Swaidi / Tel.:114267177 Fax:114267377
الموقع الإلكتروني | www.madaralwatan.com
البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

مقدمة معالي الشيخ العلامة الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وبعد: فقد أذنت للأخ: عوض بن سلطانة العتيبي بطباعة هذه المحاضرة: (نصيحة وتأصيل في زمن الفتنة) كي يعم النفع بها - إن شاء الله -. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ٢٢/٦/١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ثم الصلاة والسلام على خير المرسلين القائل بتأييد من رب العالمين: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(١).

فورثة الأنبياء هم: العلماء الربانيون الذين تعلموا وعلّموا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

والرَّبَّانيُّون هُم: العُلماء الحُلَماءُ الفُقَهاءُ الحُكَماء، قال ابنُ عبّاسٍ وابن مسعودٍ ﷺ: «الرّبّانيُّ: الحكيمُ الفقيه»[١].

والفُقهاء الرّبّانيُّون هُم: العُلماء العامِلُون المعلِّمُون غَيْرَهُمْ، قال بعضُ أهل العلم: «لا يُقَالُ للعالِمِ ربّانيٌّ حتّى يكون عالِمًا مُعَلِّمًا عَامِلًا»[٢].

فالعُلماءُ الرّبّانيُّون هُم: الّذين يُربُّونَ النَّاسَ.

العُلماءُ الرّبّانيُّون هُم: الّذين يَأمرون بالمعروف ويَنْهَون عن المنكر.

العُلماءُ الرّبّانيُّون هُم: الّذين يُصْلِحُونَ ما أَفْسَدَ النّاسُ.

العُلماءُ الرّبّانيُّون هُم: الّذين يَقْضُونَ بالحقِّ وبِهِ يَعْدِلُون.

العُلماءُ الرّبّانيُّون هُم: الّذين تمسكوا بالكتاب والسنة قولًا واعتقادًا وعملًا.

---

(١) فتح الباري(١/ ١٦١).

(٢) فتح الباري(١/ ١٦٢).

العُلماءُ الرّبّانيُّون هُم: الّذين يطلبون رضى ربِّهم وإن كان بسخط الناس.

وإنه من النعمة على طالب العلم أن يلتف حول العلماء، وينهل من علمهم، ويأخذ من سمتهم، ومن العلماء الذين نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحدًا: سماحة والدنا وشيخنا العلامة/ **صالح بن فوزان الفوزان**، متعه الله بالصحة والعافية، وأمد في عمره على طاعته وختم له بخاتمة السعادة!

وهو ممن سخَّر جهدَه ووقتَه لنشر العلم الشرعي المبني على الكتاب والسنة - جزاه الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء -، فقد كان لفضيلته محاضرة قيّمة تكلم فيها عن وجوب اجتماع الكلمة، وسُبُل تحقيق هذا الاجتماع، والنهي عن الفرقة والاختلاف، ونصيحة وتأصيل لما يقع من فتن في هذا الزمان، و غيرها من النصائح والتأصيلات الهامّة.

ولّما كان هذا اللقاء نافعًا ومفيدًا أحببت تفريغ هذا اللقاء ونشره للناس للاستفادة من نصائح وتوجيهات

فضيلته، وأيضًا من باب نشر علم شيخنا، فهذا من حق المعلم على تلميذه نشر علمه لينتفع الناس به.

وأختم:

جزى الله فضيلة شيخنا العلامة/ **صالح بن فوزان الفوزان** – حفظه الله – خير الجزاء على نصحه وإرشاده وجهوده العظيمة في نشر الخير بين الناس، وتبيين أحكام دينهم على وفق الكتاب والسنة، وختم الله لنا وله بالتوحيد والسنة ومتّعنا بعلمه يا ربّ العالمين!

إعداد/
عوض بن سلطان العتيبي
إمام مسجد/ بلال بن رباح، الرياض
٠٥٥٥٩٥٩٠٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن هذه الأمة حمّلها الله مسئولية عظيمة نحو العالم والبشرية، حمّلها الله أن تقوم بهذا الدين وتبلّغه للعالم؛ لأن دين الإسلام ليس خاصًا للعرب، وإنما هو عامٌّ للبشرية: للعرب والعجم، والجن والإنس.

وهذا الدين لابدَّ له من تبليغ وحمله وجهاد ودعوة، فهو مسؤولية عظمى حملها الله هذه الأمة المحمدية؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] جميع الناس، ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٤ - ١٠٥]، وقال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهذه الأمة متحملة لمسؤولية عظمى تُجاه الأمم جميعًا: أن تقوم بهذا الدين، وأن تدعو إليه، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنشر الإيمان بالله ﷻ وتنشر العلم الشرعي، هذه مهمة هذه الأمة العظيمة.

وهذه المهمة لا تتحقق إلا باجتماع الكلمة وعدم التفرق، لابد أن تجتمع هذه الأمة وتتجنب الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

لا يمكن أن تقوم الأمة بهذه المهمة العظيمة وهي متفرقة؛ لأنها إذا تفرّقت اشتغلت بنفسها عن أن تقوم بهذا الأمر نحو غيرها؛ ولهذا يحرص الأعداء على تفريق هذه الأمة لأنهم يعلمون أنها إذا اجتمعت فإنها لن تُهزم ولن

تُغلب، وإنما يتنصرون عليها إذا تفرقت، ليتدخلوا فيها، فهم يحرصون دائمًا على تفريق الأمة، وعدم اجتماعها؛ لأنهم ذاقوا من اجتماعها في الصدر الأول، ذاقوا الهزيمة أمامها وانتصار الأمة الإسلامية، وانتشار دينها وحكمها على جميع أهل الأرض، وسقوط الأمم تحتها كفارس والروم، فهم يخشون من هذا، ولذلك دائمًا يحرصون على نشر الخلاف بين الأمة ويؤيدون الفِرَق المخالفة لأهل السنة والجماعة.

فليكن المسلمون على حذر من هذا! وأن يجتمعوا ويتآخوا في الله، وأن ينبذوا كل فرقة وخلاف؛ لأنهم ليسوا كغيرهم من أمم الأرض، ولا يتم هذا الاجتماع إلا بما جَمَعَ أولَ هذه الأمة، والذي جمع أول هذه الأمة هو العقيدة الصحيحة التي جاء بها رسول الله ﷺ، وترك العقائد الفاسدة، وترك البدع والخرافات والمحدثات، والتمسك بالكتاب والسنة كما قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥].

فالذي وحّد هذه الأمة هو الاعتصام بالكتاب والسنة، هذا هو الذي وحدها ولن تتوحد إلا بذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، والذي أصلح أولها هو الاعتصام بالكتاب والسنة والعقيدة الصحيحة تحت راية: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» علمًا وعملًا وتحقيقًا.

هذا هو الذي وحّد أول هذه الأمة ولن يوحّد آخرها إلا ذلك، هذا من ناحية وهي ناحية العقيدة الصحيحة والتمسك بالدين الصحيح وترك المخالفات الشرعية وترك البدع والمحدثات.

الناحية الثانية: وحدة الكلمة ووحدة الجماعة، أن يكونوا جماعة واحدة في عباداتهم وفي جميع أمورهم، يكونون جماعة واحدة، ولا يكونون أحزابًا وشيعًا وفرقًا ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، كما كانت الأمم السابقة.

بل هم أمة واحدة ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، أمة واحدة كالجسد الواحد، وكالبنيان يشد بعضه بعضا، كما شبههم رسول الله ﷺ، دون نظر إلى العرق واللون والجنس، بل بالنظر إلى الدين الإسلامي والعقيدة الصحيحة، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال النبي ﷺ: «**لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**»[١].

فلا نظر إلى القبليات أو العرقيات أو الألوان، إنما النظر إلى العقيدة الصحيحة والدين الصحيح، من أي لون ومن أي جنس كان.

فالذي وحّد سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، هو الذي يوحّد هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٣٦) ، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٠) من طريق سعيد الجريري، عن أبي نضرة ، عن جابر بن عبد الله، بنحوه.

ولهذا يربينا الإسلام على الاجتماع: يربينا على الاجتماع في الصلوات الخمس، وفي الجمعة، وفي الحج، نصلي جميعًا في اليوم والليلة خمس مرات، نصلي الجمعة جميعًا، نحج جميعًا في وقت واحد، وفي مكان واحد، عند الكعبة المشرفة، وفي المشاعر المطهرة، نجتمع فيها جميعًا زمانًا ومكانًا وعبادة واحدة، حتى في اللباس فالمسلمون الحُجّاج في لباس واحد في ثياب الإحرام، لا ميزة لملك ولا لصعلوك ولا لغني ولا لفقير ولا عربي ولا لأعجمي، كلهم بلباس واحد وينادون بنداء واحد: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك**»، هذا شعار الإسلام، وهذا هو التوحيد، توحيد الجماعة وتوحيد الرب والخالق سبحانه بالعبادة.

هذا المطلوب من الأمة الإسلامية أن تكون أمة واحدة مجتمعة في العقيدة وفي العبادة وفي جميع أمورها.

وهذا الاجتماع لا يتحقق إلا بقيادة واحدة، بأن يكون المسلمون تحت قيادة واحدة، ولهذا في الآيات - وهي قوله

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٨ - ٥٩] - جمع الله السياسة الشرعية في هاتين الآيتين:

- الآية الأولى: في حق الولاة.
- والآية الثانية: في حق الرعية.

ولهذا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى هاتين الآيتين كتابًا مستقلًا سماه: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية».

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ : هذا خطاب لولاة الأمور بالدرجة الأولى، وإن كان خطابًا أيضًا لبقية المسلمين، لكنه بالدرجة الأولى يعني ولاة الأمور.

﴿ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ يعني: أن تدفعوا وأن تسندوا الأمانات إلى أهلها المؤهلين لحملها، والأمانات هنا جمع أمانة، وأعظمها الأمانة التي بين العبد وبين ربه بعبادته

وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

والمراد بالأمانة هنا: جميع التكاليف الشرعية، فهي أمانة بين العبد وبين ربه يجب عليه القيام بها، وهذا أعظم الأمانات ما يكون بين العبد وبين ربه، ثم الأمانات التي بين العبد وبين الناس، وفي طليعة أولئك الناس: ولاة الأمور، فإن الله حمّلهم أمانة وهي المسؤولية.

فسياسة الناس بالشريعة أمانة عظيمة في أعناق ولاة الأمور؛ ولهذا قال: ﴿أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾.

والأمانات هي المسؤوليات؛ لأن ولي الأمر لا يستطيع القيام بكل مهام الدولة، لا يستطيع أن يقوم بكل المهام بالدولة فلابد أن يتخذ موظفين، ولابد أن يتخذ أمراء، ولابد أن يتخذ عمالًا على الزكاة لجبايتها، ولابد أن يتخذ موظفين للقيام بأعمال الرعية ومعاملاتهم، من القضاة والمفتين، والأمراء - أمراء الأقاليم والمناطق - والموظفين في الدوائر، كل هؤلاء من أعوان ولي الأمر.

فيجب على ولي الأمر أن يختار لهذه المهام والأعمال أحسن من يجد في رعيته من المؤهلين، ولهذا قال: ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ يعني: تجعل هذه الأعمال إلى المؤهلين للقيام بهذه الأعمال كلٌ بحسب عمله فلابد أن يكون مؤهلًا.

فهذا واجب الوالي، أن يختار للأعمال الرعية أحسن من يعمل لها من ذوي الكفاءات المؤهلين، لا يحابي بها، وذلك من أجل أن يقوم هؤلاء بأعمالهم على الوجه المطلوب الذي تنتظم به المصالح وتندفع به المفاسد.

فإذا اجتهد ولي الأمر واختار للأعمال أحسن من يجده بقيت المسؤولية على نفس الموظف، نفس الموظف الذي اختاره ولي الأمر؛ لأن ولي الأمر أسند هذه المسؤولية إليه وجعلها في رقبته.

فمهمة ولي الأمر انتهت باختيار الكفء الصالح للعمل، وتأتي مسؤولية الشخص الذي يختاره ولي الأمر لأي عمل من الأعمال، فالعمل أمانة في ذمته وفي رقبته، عليه أن يقوم به وأن يكون ناصحًا، ناصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما قال رسول الله

ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة! قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١).

فالوالي الذي يوليه ولي الأمر على عمل من الأعمال التي لها مساس بالرعية أو مساس في تنفيذ الأحكام الشرعية، فهذه أمانة عظيمة في ذمة الراعي أن يسندها إلى أهلها، ثم في ذمة المُسنَد إليه أن يقوم بهذا العمل على الوجه المطلوب، وأن يكون عند حسن ظن ولي الأمر لا يتساهل في أداء مهمته ولا يحابي أحدًا، لا يرتشي على عمله، لا يتأخر عن الدوام ويعطل أعمال الناس، لا يقدم أحدًا على أحدٍ بغير حق، لا يعرقل المعاملات ويتعب المراجعين، هذه أمانة حمله إيّاه ولي الأمر، فيجب عليه أن يؤدي هذه الأمانة، فهذه مسؤولية عظيمة!

ليس الغرض من الوظيفة أن تحصل على مرتبة وراتب، أو ترتفع في وظيفتك أو تُمدح أمام الناس، ليس هذا هو

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين نصيحة (٥٥).

الغرض! هذه أمانة تراقب الله فيها وتؤديها كما تحملتها، فهي ليست مجرد وظيفة أو مجرد مرتبة وراتب، وإنما هي مسؤولية حملك إياها ولي الأمر، ولو أنك لم تُولَّ عليها لكان أسلم لك، لكن لمّا وُليت إياها ابتُليت فعليك أن تتخلص منها بأن تؤديها على الوجه المطلوب، هذا هو المقصود.

الله سمى الأعمال الوظيفية سماها أمانة، أمانة يجب أداؤها ﴿أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ ، فتكون ناصحًا لولي الأمر مبرئًا لذمتك، وتكون ناصحًا لنفسك مبرئًا لذمتك، وتكون نافعًا للمجتمع خادمًا لهم، هذا هو المطلوب من كل موظف مهما كانت وظيفته ﴿أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، هذه واحدة من القضايا التي على الراعي أن يولي ويختار من يقوم بأعمال الناس على الوجه المطلوب.

القضية الثانية مما يجب على ولاة الأمور في قوله: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾، فولي الأمر حاكم، هذا من مقتضى ولايته، فيجب عليه أن يحكم بين الناس بالعدل، لا بالحيف والجور والظلم، بل يُنصف المظلوم من الظالم، ويؤدي الحقوق لمستحقيها؛ لأن الناس لابد أن

يحصل بينهم اختلاف و نزاع فلابد أن يحكم بينهم بالعدل، وليس النزاع في الأموال فقط، بل النزاع في العقائد والنزاع في المذاهب والنزاع في الأموال، كل ذلك من النزاعات، كما في الآية الأخرى التي بعدها: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الشورى: ١٠]، وكلمة ﴿شَيۡءٖ﴾ تعم كل ما تُنوزع فيه.

والله أنزل الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، والكتاب الذي هو الكتاب والسنة لا يكفي أن يحكمه لأنه كتاب، بل لابد أن يُحكّمهُ الحاكم بين الناس، والكتاب إنما هو مرجع، والسنة مرجع، ومجرد وجودهما بين الناس لا يكفي، لابد أن يُحكم بهما، ولابد أن يُنفَذا، وإلا فاليهود والنصارى هلكوا وبينهم التوراة والإنجيل لمّا لم يحكموا التوراة والإنجيل هلكوا، كذلك هذه الأمة إن لم تحكم القرآن والسنة فإنها تهلك، وإن كان القرآن موجودًا والسنة موجودة.

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ هذا يعم الوالي الإمام الأعظم، ويعم نواب الإمام؛ لأنهم يقومون بدور الإمام، من القضاة والمفتين والموظفين في أي دائرة، كلهم مخاطبون في قوله: ﴿أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾.

وبماذا يتحقق العدل ؟

ليس بالرأي ولا بالفكر، وإنما العدل يتحقق بتنفيذ الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فالله لم يكلنا إلى أفكارنا وإلى أهوائنا وإلى رغباتنا وإلى اجتهاداتنا، وإنما إلى الكتاب والسنة؛ لأنهما يتضمنان العدل، هما حكم الله ﷻ وحكمه العدل ﷻ.

والعدل هو: الإنصاف من غير حيفٍ ومن غير مراعاة لأحد الخصوم دون الأخر، بل يكون الخصوم أمامك سواء، والمراجعون أمام الموظف سواء، لا فضل لتاجر أو ملك على صعلوك أو على فقير، لا فضل لأحدهما على الآخر، بأن يحكم بينهما العدل.

فيجب أن يحكم بالعدل على الجميع ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، أيًا كانوا هؤلاء الناس ولو كانوا طبقات، ولو كان غني مع فقير أو ملك مع صعلوك أو عالم مع جاهل أو عربي مع أعجمي، إنما ننفذ العدل بينهم، هذا حكم الله ﷻ بين عباده، وأنت مجرد منفذ لكتاب الله وسنة رسوله إن كان عندك معرفة، فإن لم يكن عندك معرفة فتخلّ عن ذلك وكِلها لمن هو أعلم منك؛ لأن هذه مسؤولية: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾.

والعدل لا يكون إلا بالكتاب والسنة، لا يكون بالقوانين ولا يكون بالأنظمة مهما كانت من التطور والرقي؛ فإنها وضع بشر، يدخلها النقص ويدخلها الهوى ويدخلها الضعف، وإنما الذي يضمن العدل هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، هذا هو الذي يضمن العدل لمن عرفه ونفذه.

وكل الناس يرضون في هذا، من كان في قلبه إيمان فهو يرضى بحكم الله ورسوله، أما المنافق فإنه يكره ذلك ﴿إِنَّمَا

كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١].

أما أهل النفاق فهم إن كان الحق لهم رضوا وإن كان الحق عليهم أعرضوا ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ [النور: ٤٨ - ٤٩]، وفي الآية الأخرى من سورة النساء: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥] يعني: فيما اختلفوا فيه، ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، هذه صفة المؤمنين.

وليس الحكم بالقرآن خاص بالنزاعات المالية، هذا جزء من التحكيم، لكن في الدرجة الأولى تحكيم القرآن والسنة في العقائد، إذا اختلف اثنان في أمر العقيدة أو طائفة مع طائفة أو مذهب مع مذهب في أمر العقيدة، فلابد من تحكيم القرآن والسنة بينهم، ويجب على المخالف أن يقبل ويرضى ويرجع إلى الصواب، هذا أهم من مسألة المال.

فتحكيم الكتاب والسنة عام في جميع النزاعات ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ ﴾ أي: شيء: في العقيدة، في المذاهب الفقهية، في الأموال، في أي شيء لابد من الحكم بالقرآن والسنة، ولا يحسم النزاع ويحقق العدل إلا الكتاب والسنة، لا الأنظمة ولا القوانين ولا الأعراف القبلية تحقق العدل والإنصاف، وحتى الناس لا يرضون بها، ولا يجوز للمؤمن أن يرضى بها، إنما يرضى بحكم الله ورسوله، هذا هو الذي يضمن العدل ويضمن رضا المؤمنين ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨]، هذا واجب الرعاة والولاة أيًا كان منصبهم عامًا أو خاصًا هذا واجبهم.

ثم أنه سبحانه وجّه الكلام للرعية فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: ٥٩]فيجب على الرعية أن تطيع ولاة الأمور فلا تختلف عليها ولا تعصي ولي الأمر، إلا إذا صار الصادر من ولي الأمر فيه مخالفة للشرع؛ فإنه لا يُطاع في المخالفة، لكن يُطاع في غيرها

مما لا مخالفة فيه، قال ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»(١)، وقال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(٢).

فإذا قُدر أنه يصدر مخالفة من ولي الأمر في بعض الأمور فإنه ينبه على ذلك ويقال: هذا مخالف للكتاب والسنة، فإن أصرَّ فإنه لا يُطاع في المخالفة، لكن يُطاع في بقية الأمور التي لا مخالفة فيها، وليس معنى أنه إذا أخطأ مرة أو أصر على خطأ مرة أنه تنخلع طاعته، طاعته باقية وولايته باقية، لكن لا يُطاع في المعصية «لا طاعة لمخلوق في معصية

(١) عن علي رضي الله عنه قال بعث النبي ﷺ سرية وأمر عليهم رجلًا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟! قالوا: بلى. قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبًا وأوقدتم نارًا ثم دخلتم فيها. فجمعوا حطبا فأوقدوا فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فرارًا من النار أفندخلها؟! فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذُكر للنبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا إنما الطاعة في المعروف». أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٧٢٦) ٦/ ٢٦١٢، ومسلم رقم (١٨٤٠) ٣/ ١٤٧٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٠٩٨).

الخالق»؛ لأن المُطاع المطلق هو الله ﷻ أو الرسول ﷺ؛ لأن الرسول مبلغ عن الله ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، الرسول مبلغ عن الله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فالطاعة المطلقة هي لله ولرسوله، أما غيره فإنه يُطاع في طاعة الله ﷻ ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: ٥٩]، من هم أولو الأمر ؟

أولو الأمر هم الحكام، الذين ولّاهم الله الحكم بين الناس، هؤلاء هم أولو الأمر من السلاطين والملوك والرؤساء المؤمنين والعلماء.

فكلمة أولو الأمر تشمل: أولي الأمر السياسي وهم الملوك والرؤساء ونوابهم، وتشمل أيضًا أولي الأمر من العلماء الذين يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تجب طاعتهم في طاعة الله ﷻ ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾.

أما إذا حصل مخالفة لولي الأمر فإن هذا فساد في الأرض؛ ولهذا جاء الأمر بقتال البغاة، وهم الذين يخرجون على ولي الأمر، وجاء الأمر بقتال الخوارج، وقتال البغاة وقتال قطاع الطرق:

• قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ٣٣ - ٣٤] هذه لقطاع الطرق الذين يخلون بالأمن، ويعطلون المسافرين بين البلدان ومصالح الناس.

• وكذلك البغاة قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠]، هذه في قتال البغاة، وهم الذين يخرجون عن طاعة ولي الأمر.

• وكذلك الخوارج الذين يخرجون عن طاعة ولي الأمر، فهؤلاء يجب قتالهم كما أمر النبي ﷺ بقتالهم، قال: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد»[١]، هؤلاء الخوارج، وقد قاتلهم صحابة رسول الله ﷺ تنفيذًا لأمر الرسول ﷺ، قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه قتالًا نصره الله عليهم به، وأفرح المسلمين، وحقق أمر الرسول ﷺ في أنَّ من قتلهم فله أجر، وفرح بذلك أمير المؤمنين علي ومن معه، فرحوا بأن الله أظهرهم على الخوارج؛ لأنهم يفسدون في الأرض ويشتتون الرعية، وعندئذٍ إذا انحل النظام وانحل الأمر حصلت الفتن وسفك الدماء والفوضى وضياع الأموال والأعراض وتفرقت الكلمة، فهم يفسدون في عملهم، وإن كانوا يظنون أنهم ينكرون المنكر ويصلحون، فهؤلاء مفسدون في الأرض!

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

فلذلك يجب قتال الثلاثة: الخوارج، البغاة، قطاع الطرق، كل هؤلاء؛ لأنهم يفرقون كلمة المسلمين ويسببون الفوضى، والنبي ﷺ يقول: «من جاءكم وأمركم جميع على واحدٍ منكم فاضربوا عنقه كائنًا من كان»[١].

فهذا كله من تحقيق المصلحة، والعدالة، وجمع الكلمة، ودرء المفاسد، وإعطاء الحقوق لأصحابها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه الأمور والمصالح لا تتحقق إلا باجتماع الكلمة تحت ولي أمر واحد، لا نقول: ولي أمر واحد لجميع الناس وجميع أهل الأرض، هذا إن أمكن فهو طيب، لكنه ليس بلازم، فإذا حصل أنه يكون عدة ملوك في أقاليم وأقطار كما حصل بعد انقضاء عصر الصحابة والتابعين، حيث وُجد دول إسلامية و كل دولة لها وال، فكل دولة تطيع الوالي الذي عليها، وليس بلازم أنهم يجتمعون كلهم على إمام واحد، إن حصل هذا طيب، وإلا فكل ولاية لها حكمها، وهذا شيء أجمع عليه المسلمون.

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٢).

كان في الأندلس دولة، وكان في الجزيرة دولة إسلامية، فكانت الدولة الأموية والدولة العباسية، والدولة الأموية في الأندلس، وهذا شيء لم يعطل العمل الإسلامي، المهم أن ولي الأمر أيًا كان سواءً عامًا أو خاصًا في إقليم أن يعمل بهذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾، سواء كان واليًا عامًا أو واليًا على إقليم أو قطعة من الأرض، فمسؤوليته باقية.

فالحاصل: أن هذه الأمة بحاجة إلى أن تفهم هذه الأمور وألَّا تصغي إلى الدعايات الباطلة والمذاهب المنحرفة التي يروج لها الكفار، الكفار يؤجّجون الخلافات بين المسلمين ويُحبون أن تظهر الفرق الضالة على أهل السنة والجماعة؛ لأنهم يعلمون أن هذا فيه فساد الإسلام والمسلمين.

فعلى المسلمين أن يحذروا هذا! الله ﷻ يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، أصلحوا ذات بينكم لا تبقوا على خلافاتكم، أصلحوا ذات بينكم! ﴿وَإِن

طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩]، وفي الآية الأخرى يقول: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

فالخلاف يُعالج بأمرين:

- أولًا: بالإصلاح إذا أمكن.
- فإذا لم يمكن بالإصلاح فلابد من الحسم وهو القتال ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

فلا يجوز التهاون في هذه الأمور، ولا يجوز لأحد ممن ينتسب إلى العلم أن ينفخ النزاع بين الناس، بل عليه أن يصلح بين المختلفين من المسلمين، وأن يسعى في الإصلاح وتقارب الكلمة واجتماع الكلمة مهما أمكن ذلك، كلٌّ مسئول عن هذا بحسب مقدرته واستطاعته وعلمه، فإذا لم يكن عنده علم فإنه يسكت ولا يتدخل فيما لا يفهمه وما لا يعنيه؛ لأنه مسؤول عن كلامه وما يترتب عليه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

فعلى المسلم ألّا يتكلم إلا بخير وإصلاح والدعوة إلى الخير، ولا يتكلم فيما يفرق المسلمين ويوقع العداوة بين المسلمين.

فهذه كلماتٌ قلتها في هذا الموضوع، فإن تكن صوابًا فالحمد لله وله الفضل والمنّة، وإن كان فيها خطأ فأستغفر الله وأتوب إليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.